زوجتي ... عمياء!

(الى الانسانة الغريبة التي تعيش الان في وحدة الظلام .. هناك في احد مصحات العيون النائية .. اليها وهي تتحسس ظلام الطريق البارد الموحش ... بوقع انفاسها .. على اشواك الطريق ..)

حبيبتي .. ما عدت تبصرين ..
الشمس .. في مشارف التلال .
والارض في غلائل الظلال .
وأوجه الصغار في الطريق .
والزهر في انائه الجديد .
لمن ترى سأشتري الزهور .
لمن ترى .. سيصنع الربيع .؟
نوارة السلام .. في الخميله ..
وتفتح الاجفان .. في الصباح ..
فلا ترى عيونك الجميله ..
راعية الازهار .. يا جميله
من يرضع الازهار في الحديقه ؟
وأنت في الظلام .. راحله ..
والدمع في الجفون أنمله ..
تلامس الاشياء .. في حذر ..
وتلثم الورود .. في خفر ..
وترسل ابتسامة الحياء ..
... تعتذر ..
عن انها اسيره ..
والناس يمرحون ..
يا زوجتي ــ ما عدت تبصرين ..؟
ما يمنح الربيع .. للعيون ..
قد جاءنا الربيع يا حبيبه
يدق بالنسيم كل باب ..
لكنه ما دق بابنا ..
بل أطفأت يمناه .. شمعتين .
في غابة الظلام ..
قد غرب الربيع .. زهرتين ..
عن موكب الزهور ..
فليقبل الربيع بالعذاب ..
وفجره .. لا يعرف الالم ..
لكنه .. ما دق بابنا ...

وفاتنا .. في الليل .. فاتنا ..

★

حبيبتي ما عدت تبصرين ..
ان كنت قد نسيت كل شيء ...؟؟
تراك .. قد نسيت .. صورتي ؟
وبسمتي .. نسيت .. بسمتي ؟
هل اكتسى الصباح بالحداد ؟
وغامت الاشياء .. في الضباب ..؟
اذ تغرق الزوارق البيضاء ..
هناك .. خلف هوة المحيط ..
والبحر هل سيذكر الملاح ؟
ووجهه يغوص .. في الامواج..
وعينه يلفها الزبد .
يلفها .. في هوة الابد ..
وفجأة ... تعاود الرياح ..
مسيرها .. من منحنى الشمال ..
تغير اتجاهها القديم ..
لتدفع السفين .. من جديد ..
لرحلة .. على مدى العباب ..
والبحر .. هل سيذكر الملاح ؟
وقد طوت نسائم الغروب ...
شراعه .. وثوبه العتيق ..
كلاهما .. في البحر .. كالكفن !
للسابح الطليق ..

★

نسيته .. يا بحر .. بعد حين
من نور الصباح بالحنين ..
ما أرهب الظلام .. يا صغيره ..
في لجة سوداء .. في القرار ..
وأنت في العباب .. طافيه .
غريقه .. في الليل .. تسبحين

★

حبيبتي .. وبيتنا الجديد ..
يجاور البيوت .. كالوحيد .
اذ ليس في رحابه ضياء ...
يستقبل الضيوف .. في المساء ..
كم اورقت .. في بيتنا الاماني ..
تستقبل الشروق في تفاؤل ..
تودع الغيب .. في تساؤل ..
عن عودة الصباح ...
والان لا شروق يا حزينه ..
لاشيء .. غير طارق السكينة ..
والزائر الملثم .. الرهيب .
من جاءنا .. من غير ما عيون
«يا سارق العيون في الصباح .
في بيتنا خفاشك الكئيب ..
يكفن الطيور .. بالجناح ..
ويغسل الدموع بالجراح ..
ويغلق النوافذ المضيئه ..
يطير .. قبل موعد الغروب ..
في بهو بيتنا ..
اذهب .. الى خرائب الاطلال ..
ودع لنا بقية الظلال ..
فلم تعد .. في بيتنا .. حياه ..
ولم يعد يزورنا .. ضيوف ..

★

حبيبتي .. وشرفة الاحلام ...
والمقعدان .. نكسا الظلال ..
في غربة الظلام ..
فمقعد .. عليه .. ترتمي ..
تعاسة الغريب ..
ومقعد .. في الليل قد خلا ..
من وجهك الحبيب ..
ولا تزال ترقص الامواج ...
في النيل من بعيد ...
من يوم أن جرت .. مع الهواء ..
ولا تزال هذه الشجيره ..
تهتز .. في حديقة الجيران ..

تميل .. في أنامل النسيـــم
وخطوة الشرطي .. في الطريق
ولمحة السيارة السريعه ..
تضم عاشقين .. في الظلام ..
وصورة الترام .. من بعيد ..
يقل .. عائدين .. في المساء
وموكب النجوم .. في الفضاء ..
في الافق .. في مدارها .. تدور ..
بشقوتي .. بشقوتي .. تدور ..

✶

وهذه الاستار .. يا حبيبه ..
علقتها .. بالامس .. في الشباك ..
زرقاء .. مثل .. طيبة السماء ..
خيوطها .. من مغزل العبير ..
ورفة الجناح ..
والليل يا حبيبتي .. طويل
والناس .. في الطريق .. يلغطون.
اما تكف هذه الاقدام ..؟
عن سيرها في موكب الزحام ؟
وكلما سمعت في الطريق عابرين .
اقول في ضراعة الامل ..
الم يعد يزورني صديق ؟
وكلما سمعت صاعدين .. في الدرج.
أقول في ابتهالة الحنين ..
« هل عدت يا حبيبتي الصغيره ؟
يا زهرة .. في فجرها .. عمياء..
والشمس .. لا .. تضن بالضياء ..
لكنها .. قد يتمت .. عيونك ..
واسبلت.. على الدجى .. جفونك .
في مشرب النهار ..
ونورها يسيل .. في السماء ..
على ربى البطاح
حتى على الرمال ...

✶

أفديك .. بالنهار .. في عيوني
افديك .. يا بنية النهار ..
خذي مع المساء مقلتيا ..
واستقبلي الصباح .. في يديا ..
انني والله ... يا حبيبه
ساقطع الطريق .. في ذراعك ..
والمس الورود .. في خشوع ..
واصطلي حرارة الشموع ..
في سهرة الشتاء ..
سأمسك الاضواء بالخيال ..
واعصر الصباح .. في دموعي ..
وارسل ابتسامة القناعه ...
لانني .. جوارك ...

✶

الليل .. يا حبيبتي طويل ..
وها أنا أعود ... كي أنام ..
وصورة لوجهك الدفيء ..
في حجرتي .. جوار مخدعي..
لثمتها بنار أدمعي ..
« عينان .. بالسلام .. تهمسان ..
من منبع الشروق .. جدولان .. »
كم فتحا بوابة الصباح ..
وها هما .. في السجن .. طفلتان !
والطفل ليس يعرف الظلام ..
والدمع للاطفال .. راحتان ..
امتدتا .. لله .. في صلاه :
« يا واهب الضياء .. »
« الناس في مواسم الاعياد ... »
« والكل في ارتقابه السعيد ..
« لموعد جديد ..
« الورد في الغصون كالقبل ..
«اليائسون عانقوا الامل ..
« ونحن .. في الظلام .. خائفان ..
« نستحلف الحياة بالربيع ..
من جاءنا .. من غير ان نراه
الا على ملامح الشـــفاه ..
بقية تنساب ..
من ادمع بريئه ..
لاتقس .. هكذا على الصغار ..
وعد بنا لمعلب الانوار ...
فنحن لم نعذب الطيور ..
لم نخنق الزهور ..

✶

حبيبتي .. يا طفلة الظلام ..
قد فاتنا الربيع .. يا حبيبه ..
واغرق السهول .. بالشذى ..
وتوج التلال بالندى
واهتز في الجذور ..
وابصرته اصغر الاشياء ..
وانت .. يا جميلة العينين ..
ما عدت للربيع تبصرين ؟؟
ما عدت للوجوه ..تعرفين .. ؟

✶

يا طفلة الظلام .. هل علمت ؟؟
الامهات .. في الربيع قد ولدن ..
وجارة ببيتنا .. اتى .
وليدها الجديد ..
لكن مقلتيك .. يا حبيبه ..
لن تبصر الاطفال .. في الربيع ..
سيرتمي الصباح فوق وجهك ..
وعندها .. احس بانتفاضه ...
يا شقوتي .. اذ المح الشعاع .
يعوم .. في .. غدير مقلتيك ..
يغوص .. في قرارها الصموت
ينساب .. في بحيرة الظلام ..
كباحث في الليل . عن غريق ..
وانت تبحثين .. عن شعاع ..
الشمس في الزحام .. ابصرتك ..
في غربة الضياع .. ابصرتـــك..
تمشين .. فوق شاطيء الضياء ..
في خطوة كسيره ..
تمشين .. كابتسامة الظلام ...
النور يا حبيبتي كم قال ...
كلامه للاعين الكثيره
وانت .. هل .. سمعت ..همستين
في محفل النهار ؟؟
أهكذا .. قد .. اخرس العينين ؟
من الهم العيون .. غنوتين ؟؟
واللحن في الصباح .. لم يتم ؟.

✶

اخاف يا حبيبتي .. لو جاء ..
وليدنا .. في ليلة الشـقاء ..
اتبصرين وجهه البريء .؟.
أتعرفين لون مقلتيه ..؟؟
وبشرة الربيع .. في سماته ؟
فلتغمضي جفونه الصغيره
بقبلة المساء ..
ولتنحن النهود .. في امومه ...
في لمسة رحيمه ..
يسخون بالحياة للمحروم ..
يمنحن ما تبثه السماء ..
يسقين قطرتين من ضياء ..
عن موطن الضياء ..
رضيت بالظلام .. مستكينه ..
من غير ما حياه ...
من غير ما غناء ...
من غير ما أمل ...

محمد الجيار
القاهرة